

تفسير البحر المحيط

@ 93 @ لأنّ على تدل على الاستعلاء وقلة منعة من دخلت عليه ، ففرق بين لا سبيل لي على زيد ، ولا سبيل لي إل زيد . وهذه الآية في المنافقين المتقدم ذكرهم : عبد الله بن أبي ، والجد بن قيس ، ومعتب بن قشير ، وغيرهم . ورضوا : استئناف كأنه قيل : ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد ، فقيل : رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف . وعطف وطبع تنبيهاً على أنّ السبب في تخلفهم رضاهم بالدناءة ، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب على الجهاد من منافع الدين والدنيا . . .

. %)

{ يَعْذَرُونَ لِأَيْدِيكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى اللَّهِ قُلْ لَا تَعْذَرُونَ لَنَا نَسْأَلُكُمْ فَمَنْ لَكُمْ فَدَرْ بِنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ } : لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار ، لأنّ عرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به ، فإذا علم أنه مكذب في اعتذاره كفّ عنه . قد نبأنا الله من أخباركم علة لانتفاء التصديق ، لأنه تعالى إذا أخبر الرسول والمؤمنين بما انطوت عليه سرائرهم من الشر والفساد ، لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم . قال ابن عطية : والإشارة بقوله : قد نبأنا الله من أخباركم إلى قوله : ما زادوكم إلا خبالاً ولا وضعوا خلالكم ، ونحو هذا . ونبأ هنا تعدّت إلى مفعولين كعرف ، نحو قوله : من أنبأك هذا ؟ والثاني هو من أخباركم أي : جملة من أخباركم ، وعلى رأى أبي الحسن الأخفش تكون من زائدة أي أخباركم . وقيل : نبأ بمعنى أعلم المتعدية إلى ثلاثة ، والثالث محذوف اختصاراً لدلالة الكلام عليه أي : من أخباركم كذباً أو نحوه . وسيرى الله توعده أي : سيراه في حال وجوده ، فيقع الجزاء منه عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وقال الزمخشري : وسيرى الله عملكم أتنيبون أم تثبتون على الكفر ، ثم تردون إشارة إلى البعث من القبور والتنبؤ بأعمالهم عبارة عن جزائهم عليها . قال ابن عيسى : وسيرى لجعله من الظهور بمنزلة ما يرى ، ثم يجازى عليه . وقيل : كانوا يظهرون للرسول عند تقريرهم معاذيرهم حباً وشفقة فقيل : وسيرى الله عملكم هل يبقون على ذلك أو لا يبقون ؟ والغيب والشهادة هما جامعان لأعمال العبد لا يخلو منهما . وفي ذلك دلالة على أنه مطلع على ضمائرهم كاطلاعه على طواهرهم ، لا تفاوت عنده في ذلك . . .

{ سَيَحْكُمُ اللَّهُ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ لَتُعَرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآءٌ وَاهٍمْ جَهَنَّمَ جَزَاءُ

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } : لما ذكر أنهم يصدر منهم الاعتذار أخبر أنهم سيؤكدون ذلك
الاعتذار الكاذب بالهلف ، وأنَّ سبب الهلف هو طلبتهم أنْ يعرضوا عنهم فلا يلوموهم ولا
يؤخوهم ، فاعرضوا عنهم أي : فأجيبوا إلى طلبتهم . وعلل الإعراض عنهم بأنهم رجس ، أي
مستقذرون بما انطوا عليه من النفاق ، فتجب مبادعتهم واجتنابهم كما قال : { رَجَسُ
مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبُوهُ } فمن كان رجساً لآلة تنفع فيه المعاتبة ، ولا
يمكن تطهير الرجس . ويحتمل أن يكون سبب الهلف مخافتهم أنْ يعرضوا عنهم فلا يقبلوا عليهم
ولا يوادوهم ، فأمر تعالى بالإعراض عنهم وعدم توليهم ، وببَيِّنِ العلة في ذلك برجسيتهم ،
وبأنَّ مآل أمرهم إلى النار . قال ابن عباس : فاعرضوا عنهم لا تكلموهم . وفي الخبر أنه
عليه السلام لما قدم من تبوك قال : لا تجالسوهم ولا تكلموهم . .
قيل : إنَّ هذه الآية من أول ما نزل في شأن المنافقين في غزوة تبوك ، وكان قد اعتذر
بعض المنافقين واستأذنوه في القعود قبل مسيره ، فأذن فخرجوا وقال أحدهم : ما هو إلا
شحمة لأول آكل ، فلما خرج الرسول نزل فيهم القرآن ، فانصرف رجل من القوم فقال للمنافقين
في مجلس منهم : نزل فيكم قرآن فقالوا له : وما ذلك ؟ قال : لا أحفظ ، إلا إنني سمعت وصفكم
فيه بالرجس ، فقال لهم مخشي : لوددت أنْ أجلد مائة ولا أكون معكم ، فخرج حتى لحق
بالرسول صلى الله عليه وسلم) فقال له : (ما جاء بك) ؟ فقال له : وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم) تسفعه الريح ، وأنا في لكن . فروي أنه ممن تاب . قال ابن عطية : فاعرضوا
عنهم أمر بانتهازهم وعقوبتهم بالإعراض والوصم بالنفاق ، وهذا مع إجمال لا مع تعيين